السِّيرةُ النَّبويَّة للبراعم

(١)

إِنَّهُ الأُسْوَةُ والقُدْوَةُ ﷺ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

نَماذِجُ لِلْقُدْوَةِ الحَسَنَة

تَعَالَوا أيُّها الأحِبَّةُ البراعم لِنَرىٰ : لِمَاذا أَرْسَلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لِلْبَشَرِ أنبياءَ وَرُسُلاً ؟

وَيَأتي الجوابُ القُرْآنيُّ ، وذَلِكَ في قول الله سُبْحانَهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١) .

أَيْ : أنَّ مُهِمَّةَ الأَنْبِياء والرُّسُلِ تَبْليغُ رِسالاتِ الله ، وَأَخْذُ النَّاسِ إلى الطَّريقِ

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩ .

المُسْتَقِيمِ ، وَلِيكُونوا نَماذِجَ يَقْتَدي النَّاسُ بِهِمْ .

حتَّىٰ إذا ما وقف المُشْرِكونَ والكَفَرَةُ في وَجْهِ المُؤْمِنينَ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُروا ما حَدَثَ لِلأَنْبِياء والرُّسُلِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ .

مِثَالُ ذَلِكَ حِكايَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ أَبِيْهِ (آزَرَ) ، فَقَدْ دَعاهُ إِبْراهِيمُ مِراراً وَتَكْرَاراً ، واتَّبَعَ مَعَهُ سُبُلَ الحِكْمَةِ وَالأَدَبِ الرَّفيع :

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ (١)

إِنَّهُ أُسْلُوبٌ مُؤَدَّبٌ وَلَطِيفٌ ، فَهُوَ لَمْ يَقُلْ لَهُ : أَنْتَ جَاهِلٌ لاَ تَدْرِي وَلاَ تَعْلَم! إِنَّما قالَ لَهُ : لَقَدْ جَاءَني مِنَ اللهِ أَمْرٌ لَمْ يَأْتِكَ أَنْتَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

---

(١) سورة مريم : ٤٣ .

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ (١)

حَتَّى الكَلِمَاتُ فَهِيَ مُنْتَقَاةٌ إِلىٰ حدٍّ عَجِيْبٍ ، فَهُوَ لَمْ يَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَذَاباً مِنَ القَوِيِّ الجَبَّارِ ، إِنَّمَا : مِنَ الرَّحْمٰنِ ، لِيَدُلَّ عَلَىٰ الأَدَبِ وَالرَّحْمَةِ والشَّفَقَةِ ، لَكِنَ مَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

لَقَدْ هَدَّدَهُ (آزَرُ) بِالعُقُوبَةِ الشَّدِيْدَةِ ، وبالرَّجْمِ بالحِجَارَةِ عَلَىٰ رَأْسِهِ : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ (٢) .

وَبَقِيَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُحَاوِراً مُؤَدِّباً

---

(١) سورة مريم : ٤٥ .

(٢) سورة مريم : ٤٦ .

لَطِيْفاً : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[1] .

* * *

(١) سورة مريم : ٤٧ .

إِنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنَ البَشَر

وَهَكَذَا يَا أَيُّها البَرَاعِمُ الأَحِبَّةُ! فَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الأَنْبِيَاءَ ، وَالرُّسُلَ صَفْوَةَ البَشَرِ ، وَطَالَبَ النَّاسَ أَنْ يَجْعَلُوا سِيَرَ حَيَاتِهِمْ نَمَاذِجَ لِلأُسْوَةِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (١) .

وَبِالتَّالي فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ كُلَّ رَسُولٍ إِلى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، لَكِنَّ الرَّسُولَ الخَاتَمَ مُحَمَّداً ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ لِلْعَالَمِين كافَّةً ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ :

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٥ .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

وَهَذَا هُوَ السِّرُّ في أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ الفَضَائِلَ كُلَّها في الحَبِيْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لِكُلِّ نَبِيٍّ في الأَنامِ فَضِيْلَةٌ
وَجُمْلَتُها مَجْمُوعَةٌ لِمُحَمَّدِ

* * *

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

لِمَاذَا نَدْرُسُ السِّيْرَةَ النَّبَوِيَّة ؟!

وَلِكَيْ لاَ تَفْقِدَ الأُمَّةُ الإسْلامِيَّةُ وَإلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ الأنْمُوذَجَ لِلأُسْوَةِ ، والقُدْوَةِ ؛ فَقَدْ دَلَّهَا اللهُ تَعَالىٰ عَلَى اتِّبَاعِ رَسُولِ الله ﷺ ، والاهْتِمَام بِتَفْصِيلاتِ سِيْرَتِهِ ، وَتَتَبُّعِ آثَارِهِ ، وَالاعْتِنَاءِ بِأَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، قَالَ الله تَعَالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْنَا وَفَضْلِه أَنْ حَفِظَ لنَا سِيْرَةَ رَسُولِهِ ﷺ ، فَمَنْ أَرَادَ الأَخْلاقَ الحَمِيْدَةَ وَجَدَهَا

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

في سِيْرَةِ الحَبِيْبِ ، وَمَنْ أَرَادَ السُّلُوكَ ، وَالآدَابَ وَجَدَها في سِيْرَتِهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ كَيْفَ كانَ فِي بَيْتِهِ ، وفي مَسْجِدِهِ ، وفي سِلْمِهِ ، وَحَرْبِهِ ، وَبَيْنَ أزْوَاجِهِ ، وَأَوْلادِهِ وَأَحْفَادِهِ ، وفي كُلِّ حَيَاتِهِ ﷺ .

كُلُّ هذا يَا أَحِبَّتَنا البَرَاعِمَ! يدعُونا لِدِرَاسَةِ سِيْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ ، وَالوُقُوفِ طَوِيلاً مَعَ شَمَائِلِهِ ﷺ .

* * *

عَهْدٌ مُنْذُ البِدَايَة

وَلِذَلِكَ أَيُّها البَرَاعِمُ الأَحِبَّةُ لا بُدَّ لَنَا أَنْ نُحِبَّ الرَّسُولَ ﷺ ، وَنُعَظِّمَهُ ، خَاصَّةً أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَنَا أَمْرَاً صَرِيْحاً أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فَتَعَالَوا لِنَتَعَاهَدَ مُنْذُ البِدَايَةِ على الإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ يَا أَحِبَّتَنَا ثَوَابَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ ؛ لَمَا تَرَكْتُمُوهَا في

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

أيِّ وَقْتٍ وَحِيْنٍ ، مِنْ ذَلِكَ قولُه صلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ :

« مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ عَشْراً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ مئةً ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مئةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ أَلْفاً ، ومَنْ زَادَ كُنْتُ لَهُ شَفِيْعاً، وَشَهِيْداً يَوْمَ القِيَامَة » .

وَمَا أَجْمَلَ هَـٰذِهِ القِصَّةَ ، فَتَعَالَوا أَيُّها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَسْتَمِعَ إِلَيْهَا :

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمـٰنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَوَجَّهَ إِلى بُسْتَانِ نَخْلٍ ، فَتَبِعْتُهُ ، فاسْتَقْبَل القِبْلَةَ ، فَخَرَّ سَاجِداً ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّ الله قَبَضَ نَفْسَهُ فِيْهَا ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : « مَالَكَ يَا عَبْد الرَّحْمـٰن ؟ » .

قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ! سَجَدْتَ سَجْدَةً حتَّى ظَنَنْتُ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ قد قَبَضَ نَفْسَكَ فِيْهَا .

فَقَالَ : « إنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي ، فَقَالَ : إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول : مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ صَلَّيتُ عَلَيْه ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلْيَه ، فَسَجَدْتُ للهِ شُكْراً » .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « زَيِّنُوا مَجَالِسَكُمْ بالصَّلاة عليَّ فإنَّ صَلاتَكُمْ عَلَيَّ نُورٌ لكم يَوْمَ القِيَامَة » .

وَرَحِمَ الله ذَاكَ الشَّاعِرَ الَّذِي قَالَ في الصَّلاةِ علىٰ الرَّسُول ﷺ :

أَمَّا الصَّلاةُ علىٰ النَّبِيِّ فَسِيْرَةٌ

مَـرْضِيَّـةٌ تُمْحَـىٰ بِهَـا الآثَـامُ

وَبِهَا يَنَالُ المَرْءُ عزَّ شَفَاعَةٍ

يُنْبِىءُ بِهَا الإعْزَازُ وَالإكْرَامُ

كُنْ لِلصَّلاةِ علىٰ النَّبِيِّ مُلازِماً

فَصَلاتُهُ لَكَ جُنَّةٌ وَسَلامُ

وَلا بُدَّ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَيُّها الأحِبَّةُ الصِّغارُ أَنَّ تَرْكَ الصَّلاةِ على النَّبِيِّ ﷺ يُؤَدِّي إِلى الشَّقاءِ ، والوَصْفِ بالبُخْلِ ، والجَفَاءِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قولُه صَلَواتُ الله وسَلامُه عَلَيْهِ : « مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ؛ فَقَدْ شَقِيَ » .

* * *

« أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ »

ونَحْنُ نَدْرُسُ السِّيْرَةَ الطَّاهِرَةَ سَوِيَّاً نَذْكُرُ تِلْكُمُ القِصَّةَ الرَّائِعَةَ :

جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَهُ : مَتَىٰ السَّاعَةُ يا رسول الله ؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله وسَلامُهُ عليه : « وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ »

قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيْرِ صَلاةٍ ، وَلا صَوْمٍ ، وَلا صَدَقَةٍ ، وَلـٰكنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ يَوْمَ القِيَامَة » . فَأَنْزَلَ الله تعالى قولَه :

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

والعَجِيْبُ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ لا يَمَلُّون مِنْ تَكْرَارِ الحَدِيْثِ عَنْ كلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بالسِّيْرةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَذَلِكَ لِمَا فِيْها مِنَ الدُّرُوسِ والعِبَرِ ، والفَوائِدِ ، وَالإرْشَادَات .

كَرِّرْ أَحَادِيثَهُ لاَ تَخْشَ مِنْ مَلَلٍ

فَمَا حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ مَمْلولُ

كَـأَنَّـهُ سُكَّـرٌ يَحْلُـو مُكَـرَّرُهُ

فَكَمْ حَدِيثٍ إذا كرَّرْتَ مَمْلُولُ!

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

---

(١) سورة النساء : ٦٩ .